دور الصحراء والتصحر في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام خلال المرحلة من١٠٩٨-١١٨٧م

إعداد: أ.د. محمد مؤنس عوض
أستاذ تاريخ العصور الوسطي
بجامعتي عين شمس والشارقة

يتناول هذا البحث بالدراسة، أمر النطاق الصحراوي وكذلك التصحر في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام خلال المرحلة الواقعة من عام ١٠٩٨م وهو عام الاستيلاء علي أنطاكية إلي عام ١١٨٧م أي عام حدوث معركة حطين الفاصلة.

لسنا في حاجة إلي تأكيد أهمية الجانب الجغرافي – بوجه عام – في دراسة تاريخ الصليبيين هناك، إذ أن الأرض هي العنصر الوحيد الذي امتاز بالثبات بينما رحل الذين تصارعوا عليها من مسلمين وصليبيين، ولذلك علينا جعل الجغرافيا بمثابة المدخل الطبيعي والمنطقي لفهم طبيعة الصراع وأبعاده الاستراتيجية حينذاك من خلال إدراكنا لمنظومة التاريخ الثلاثية (المكان – الزمان – الإنسان). وإذا كانت الجغرافيا كتضاريس تمتاز بالثبات فإن التاريخ علي الرغم من ووقوع أحداثه إلا أن الثابت الوحيد فيه هو التغير، من خلال تصورات المؤرخين لأحداثه لذلك علينا التعامل مع ذلك الثابت وكذلك المتغير من أجل فهم أعمق للصراع الذي دار شرقي البحر المتوسط Levant، في عصر الحروب الصليبية Crusades، Croisades.

ولا يعني اهتمام البحث بجانب الصحراء، التقليل من شأن باقي المناطق الجغرافية الخرى سواء الساحلية أو السهلية أو الجبلية إذ أنها تكاملت جميعاً في منظومة واحدة، وكانت كافة أشكال التضاريس في معترك الحداث التاريخية دونما استثناء خاصة أن الصراع كان أصلاً علي الأرض تمسكاً واحتفاظاً بها من جانب المسلمين، ونهباً لها من جانب الغزاة الصليبيين.

واقع الأمر، تواجه الباحث في الموضوع المذكور صعوبة تتمثل في ندرة الإشارات المصدرية العرضية عن الصحراء في المصادر الصليبية وكذلك الإسلامية المعاصرة، حيث

شغل المؤرخون حينذاك تناول تاريخ الحواضر الكبرى مثل بيت المقدس، وأنطاكية، وطرابلس، وعكا، ودمشق، وحلب وقدموا لنا مادة ضافية عن الجانبين السياسي والحربي، ولم يتناولوا الصحراء إلا اضطراراً ضمن حديثهم الأصلي عن تطور الأحداث حول المدن الكبرى المذكورة – لذا علي الباحث تحليل ما ورد من إشارات محدودة للغاية، ومحاولة الربط بين التطورات السياسية والصراع الحربي الذي حدث خلال المرحلة موضوع الدراسة مع واقع جغرافية الصحراء دون اعتساف أحكام أو القولبة أو التعصب لنطاق جغرافي علي حساب النطاقات الأخرى.

لا نغفل هنا الإقرار بعدم عثوري من خلال متابعاتي الببليوغرافية علي دراسة متخصصة ومباشرة عن تاريخ الصحراء في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية خاصة ما بين ١٠٩٨–١١٨٧م وتأثيرها علي الصليبيين ؛ مما دفعني إلي ضرورة البحث في الموضوع المذكور.

ومن المهم هنا ملاحظة أن أرضية تاريخ الصليبيين في الشرق ندرك فيها عدة أشكال تضاريسية ذات تأثير بالغ عليهم في صورة الساحل الشامي، والمناطق الجبلية، والنطاق الصحراوي وقد اهتم الصليبيون بالساحل الشامي اهتماماً كبيراً علي اعتبار كونه بمثابة الرئة التي تتنفسوا من خلالها، حيث ربطهم بالوطن Patria الأم في أوروبا الذي منه اندلعت شرارة الحروب الصليبية ولذلك أنفقوا نحو ٢٥% من تاريخهم في إخضاعه وهو ما نلاحظه من خلال دراسة المرحلة من ١٠٩٨ إلي ١١٥٣م، أما المناطق الجبلية، فإنها احتلت مكانتها هي الأخرى – حيث وجدت علي سبيل المثال – في غمارة طرابلس وكذلك في المنطقة الواقعة بين حدود مملكة بيت المقدس الصليبية وأملاك دمشق في صورة مرتفعات [١] الجولان الاستراتيجية (٣,٠٠٠متر) فوق سطح الماء حيث أعطت تلك المناطق ميزة كشفت مناطق مساحات شاسعة من أملاك المسلمين وأقام فيها الصليبيون القلاع التي دعمت إمكانياتهم الحديثة هجوماً ودفاعاً.

يلاحظ المتأمل للخريطة الجغرافية لتوزيعات مملكة بيت المقدس الصليبية، يلاحظ أن بمساحات الكيان الصليبي أحاطته الصحراء بمساحات شاسعة الشرق والجنوب بل فصلت الصحراء بين إمارتي الرها Edessa وأنطاكية Antioch، كما لا نغفل أمر الصحراء الواقعة بين جنوبي فلسطين واتصالها بشبه جزيرة سيناء [٢] وقد أثر ذلك علي

توزيعات السكان ؛ إذ وجدنا كثافة سكانية في المدن الساحلية التي انتزعوها من أيدي المسلمين مثل طرابلس، وبيروت، ويافا، وصيدا، وصور، وعكا – على نحو خاص بعكا كونها الميناء الرئيسي للمملكة الصليبية – وهو ما نلاحظه من خلال كتابات الرحالة بينما كانت المناطق الصحراوية مخلخلة سكانياً ومثلت مناطق ضعف في صراع الغزاة مع المسلمين أبناء الأرض الأصليين، مع ملاحظة أن المدن الداخلية المسلمة مثلت ثقلاً سكانياً وعسكرياً وسياسياً نوعياً لا يستهان به وأحاطت مناطق الصليبيين وهو امر نلاحظه في الموصل، وحلب، وحمص، وحماه، ودمشق على نحو خاص.

بصفة عامة، إذا ما بحثنا عن الأصل اللغوي لكلمة " صحراء " سنجد أن أصلها يتمثل في كلمة (ديزت) المصرية القديمة، وكانت تعني المكان المهجور ومنها صارت Desert بالإنجليزية [٣] لعل أوضح الأمثلة علي النطاق الصحراوي لدي مناطق الصليبين خاصة في خريطة مملكة بيت المقدس الصليبية بحدودها الفلسطينية (٢٨,٠٠٠ ك.م) ؛ ما نجده في صحراء النقب حيث اشتملت على نحو (٤٦,٧%) من مساحة فلسطين [٤] ونظراً لأهميتها الاستراتيجية ؛ ستفصل الحديث عنها كنموذج للدراسة.

الواقع أن منطقة Negeve النقب جغرافيا انقسمت إلي خمسة أقسام كالتالي :

أولاً : تلال العقبة ؛ وهي واقعة علي هامش الدرع العربي – النوبي الذي يحيط البحر الأحمر وتتكون من صخور نارية متحولة شديدة في تنوعها، وتضاريسها، وانكساراتها وتحتوي علي قمم حادة بارتفاع ما بين ٨٠٠ إلي ٩٠٠ متر وتشتمل علي أخوار عميقة، وأودية ضيقة [٥].

ثانياً : هضبة الجرافي ؛ وهي تتدرج من الجنوب الغربي في شبه جزيرة سيناء إلي الشمال الشرقي إلي وادي عربة.

ثالثاً : تلال النقب ؛ وهي تشمل أكثر من نصف النقب ويقسمها وادي الزين العميق إلي قسم جنوبي مرتفع، وشمالي منخفض.

رابعاً :منطقة بئر سبع ؛ وهي ترتفع من (٥٠) إلي(١٠٠) متر في الغرب إلي حوالي (٢٥٠) متراً قرب بئر سبع حتى تصل إلي ارتفاع (٦٠٠) متر في أقصاها الشرقي، وتغطي

السطح طبقة من التربة الرملية الناعمة سميكة في حدود (٣٠٩ متراً، وتغطي الكثبان الرملية حوالي (٥٠٠) ك.م إلي الغرب وكذلك الجنوب الغربي [٦].

خامساً : منطقة وادي عربة وهي تؤلف أقصى جنوب الأخدود الإفريقي العظيم [٧] Valley African rife ويغطي سطحها رواسب طمي رملية، وحصوية تحيطها من الجانبين منحدرات صخرية رملية ونارية شبه مستقيمة يرتفع بعضها إلي (١٠٠) متر .طولها ١٦٥ك. م بعرض يتراوح من (٥) إلى (١٥) ك.م فى الجنوب و(٣٢) م فى الوسط وحوالي (١٠) ك.م في الشمال [٨].

يوصف مناخ النقب بالجفاف، وهو يرجع إلي عاملين هما : آولاً : تكون كتل هوائية جافة مستقرة تقوم بمنع التيارات الدائرية وثانياً عدم وجود نظام عواصف في المنطقة ؛ إذ تمنعه من الوصول إلي أحزمة الضغط العالي إلي الشمال والجنوب من حزام الصحراء الكبرى [٩] وبالتالي جاء ذلك مغايراً للمناطق الساحلية التي سقطت فيها الأمطار بغزارة كنتاج للرياح الغربية العكسية شتاءً على نحو خاص.

يتصف المناخ في النقب بصيف جاف، وشتاء رطب، ومعدل سنوي للأمطار ما بين (٣٠٠) مم في الشمال إلي (٢٥)مم [١٠] في الجنوب ولا ريب في أن ذلك النطاق الجغرافي بأرضه وكذلك مناخه كان عاملاً من عوامل الطرد السكاني إلا من عناصر البدو التي اعتادت الإقامة فيه والتكيف مع ظروفه البيئية.

إن هذه الصورة التي كانت عليها صحراء النقب دلت علي حقيقة مؤكدة وهي تناقض جغرافية الكيان الصليبي جغرافياً بين مناطق ساحلية ذات كثافة سكانية مرتفعة، ومناطق ذات مخزون مياه جوفي كبير كما في الضفة الغربية [١١] Western Bank لنهر ١٧٠ك.م٢ الأردن مع عدم إغفال بحيرة طبرية [١٢] وهي أكبر بحيرة عذبة في بلاد الشام كلها، هكذا، عاني الوجود الصليبي من عدم التجانس الجغرافي على نحو كان له أثره علي قضايا الصراع مع المسلمين.

ومن الأهمية إدراك صغر مساحة فلسطين أصلاً (٢٨,٠٠٠) ك.م وبالتالي فإن أي حدث يحل بالصحراء الجنوبية فيها كان شأنه التأثر بالضرورة علي باقي الكيان الصليبي في بلاد الشام بحكم كونها مركز ذلك الوجود الغازي الدخيل.

وقد يتساءل البعض لماذا الاهتمام بصحراء النقب على نحو خاص ؟ وتعليل الأمر يتمثل في أن ذلك النطاق الجغرافي بامتداده في مصر من خلال شبه جزيرة سيناء، كان بمثابة حلقة الوصل بين بلاد الشام ومصر ن تحديداً بين الحاضرين البارزين بين دمشق، والقاهرة، فإذا حاولت إحدى القوى السياسية في كل من العاصمتين البارز تبين التنسيق العسكري والسياسي، كان لابد عندئذ من تجاوز ذلك النطاق الجغرافي الذي مثل حاجزاً ومانعاً للتواصل بينهما وكان أكثر تحدياً في احتيازه خاصة خلال شهور الصيف حيث الشمس الحارقة.

تجدر الإشارة إلي إدراك الصليبيين لأهمية ذلك النطاق الجغرافي الصحراوي، ولا ادل علي ذلك مما ذكر المؤرخ الإسرائيلي البارز يوشع براور Joshua Prawer الذي وصف الصحراء بأنها كانت صمام الأمان لكل حدود المملكة الصليبية [١٣]، ولا تفهم هذه العبارة إلا من خلال كون الصحراء هناك كانت شاسعة الامتداد، ومكشوفة وتحتاج وقتاً وجهداً مضنياً وإمكانات بشرية وحربية لاحتيازها علي المستوى العسكري ونشاطاً يقظاً لأجهزة المخابرات للحصول علي المعلومات اللازمة من اجل تامين القوات التي تقوم بصورها، وكذلك الاحتفاظ بخطوط تموين طويلة للقوات المحاربة فيها، ويلاحظ هنا أن من امتلك القلاع في ذلك النطاق كان بمقدوره كشف أية هجمات وافدة وبالتالي التعامل معها على نحو حاسم وسريع من أجل إجهاضها قبل وصولها إلي هدفها النهائي.

ولست في حاجة إلي التأكيد علي أن حروب الصحراء تكشف الخطأ القاتل الفريق الأقل كفاءة حربية في ذلك العصر خاصة مع عدم وجود جبال أو غابات يمكن الاحتماء بها في حالة حدوث هجوم معادي مفاجئ وقوي.

لقد كان علي الصليبيين تأمين ذلك النطاق الصحراوي بإقامة العديد من القلاع الحصينة من أجل تحقيق عدة أهداف ملحة ومجتمعة في آن واحد تضمن تفوقهم علي المسلمين يمكن إجمالها بإيجاز علي النحو التالي :

أولاً : السيطرة علي شبكة الطرق البرية التي تمر في ذلك النطاق الذي يوصف بانه مخلخل سكانياً في مواجهة أية هجمات إسلامية ومحاولة فرض نوع من السيادة العسكرية والسياسية الصليبية عليه من خلال فرض الأمر الواقع Ipso Facto.

ثانياً : إخضاع الطرق التجارية الحيوية العابرة بالنطاق الصحراوي خاصة أن التجارة – مع الإضافة إلي الحج – شكلت عصب النشاط الاقتصادي الصليبي مع عدم إغفال أن مرحلة الحروب الصليبية حدثت خلال ما عرف بالثورة التجارة Commercial Revolution (١١٠٠-١٤٠٠م) والتي كان من مظاهرها ضخامة رأس المال المستخدم في الصفقات التجارية وتوافر وسائل تحويل الأموال، وتوافر القوافل التجارية البرية والبحرية بأعداد كبيرة، وقد انعكس ذلك علي التأليف التاريخي حيث وجدنا كتاب أب جعفر الدمشقي (ق ١٢م) بعنوان : الإشارة إلي محاسن التجارة وقد تمثلت أركان التجارة حينذاك في الذهب Gold، والرقيق Slaves، والحرير Silk، والتوابل Spices ومن كان بإمكانه السيطرة علي منافذ تلك التجارة ؛ ففي مقدوره تحقيق مكاسب مالية ضخمة من خلال عوائد تجارية مع إدراكنا لتفرد وعبقرية الموقع الجغرافي المتوسط لبلاد الشام كحلقة وصل بين تجارة الشرق والغرب في حقبة العصور الوسطي.

ثالثاً: المعاونة علي إسقاط المدن الإسلامية ذات الموقع الاستراتيجي التي لم تكن قد خصصت بعد للسيادة العسكرية الصليبية كما هو الحال بالنسبة لمدينة عسقلان Escalon الواقعة جنوبي فلسطين علي ساحل البحر المتوسط باتجاه مصر.

رابعاً : الرغبة في جعل تلك القلاع بمثابة منظومة دفاعية واحدة يتم التنسيق بينها، ولكي تكون قواعد انطلاق هجومية ضد المدنالإسلامية؛ من أجل توسيع حدود أملاك الصليبيين خاصة صوب مصر الفاطمية التي كانت تغري الغزاة من خلال إمكاناتها الاقتصادية والبشرية الكبيرة، وضعفها السياسي الظاهر، وكان ذلك من شأنه الخروج من " الشرنقة الشامية " والانطلاق نحو تأمين الوجود الصليبي هناك من خلال التوسع نحو أرض النيل نظراً لإدراك الصليبيين أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع – هكذا، نلاحظ أن سعي الغزاة إلي تأمين النطاق الصحراوي من خلال إقامة عدة قلاع حصينة منذ وقت مبكر في عهود كل من الملك الصليبي بلدوين الأول المؤسس [١٥] Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م)، والملك فولك أوف أنجو Fulk of Anjou (١١٣١- ١١٤٤م)، وبلدوين الثالث Baldwin III [١٧] (١١٤٤- ١١٦٢م)، وتتمثل تلك القلاع الشوبكMontreal de Krak عام ١١١٥م، وايلة (العقبة) عام ١١١٦م، وقلعة جزيرة

فرعون Gray de ile عام وقلعة الوعيرة عام ١١١٦م، وقلعة بيت جبرين Bethgibelin عام ١١٣٧م، وقلعة بيتي Ibelin عام ١١٤١- ١١٤٢م، وتل الصافية Blanchegarde عام ١١٤١م، والكرك Krak عام ١١٤٢م، وغزة عام ١١٤٩-١١٥٠م وهكذا في مقدورنا القول أن الصليبيين امتلكوا منظومة قلاع صحراوية كان لها اثرها البارز في صراعهم مع المسلمين مع عدم إغفال تكاملها مع القلاع في المناطق الأخرى أما الشوبك، فقد شيدت فوق قمة من قمم جبال الشراة،ووقعت بين وادي الحماط من الشرق والشمال ووادي الرعاية من الجنوب، ووادي من فات الزبيب من الغرب وتراوحت المسافة بين قمة الجبل وقيعان الأودية بين (١٠٠) متر في الجزء الشمالي الغربي، وبين (٢٥٠) متراً باتجاه الشرق وكان تشييدها عام ١١١٥ م [١٨].أما قلعة أيله[١٩] (العقبة علي رأس خليج العقبة، في موقع جغرافي بالغ الأهمية لأنه تحكم في حركة التجارة بين مصر وبلاد الشام بالإضافة إلي دورها فيقطع الطريق البري الواصل بين مصر وبلاد الشام والعراق والحجاز عبر شبه جزيرة سيناء.

أقام الصليبيون قلعة هناك في عهد بلدوين الأول وتحديداً عام ١١١٦م، وبالتالي هددوا تجارة البحر الأحمر Red Sea، موانئ الحجاز، ناهيك عن السيطرة علي طريق الحجاج الواصل بين بلاد الشام والحجاز.

وتؤكد لنا هذه القلعة – على نحو خاص – أن الصليبيين بعد أن أقاموا في المنطقة عقداً ونصفاً من الأعوام أدركوا المفاصل الجغرافية لها، وعرفوا أين يقيمون قلاعهم على نحو جعلهم يتحكمون في شبة الطرق التي عرفتها المنطقة منذ عهد الإمبراطورية الرومانية imperium Romanian وصولاً إلي القرن ١٢م وبصورة دلت علي أننا أمام عدو يعرف ماذا يريد من المنطقة ويحفظ يدهاء لتحقيق أهدافه في أسرع وقت ممكن وجاء ذلك في وقت أنشغل فيه المسلمون بالصراعات السياسية والطائفية والعرقية.وفيما يتصل بقلعة جزيرة فرعون [٢٠]، فقد آقامها الصليبيون في جزيرة حملت ذلك الاسم، وقد وقعت علي رأس خليج العقبة علي بعد (١٢) ك.م من خليج العقبة علي بعد (٢٥٠) متر من ساحل شبه جزيرة سيناء، على نحو سمح بوصول القوارب الصغيرة إليها.

أما قلعة الوعيرة [٢١]، فقد شيدت علي جبل الشراة قرب وادي موسي الذي وقع في وادي عربة فيما وراء الأردن، وقد ارتفعت عن سطح البحر بحوالي (١٠٥٠)م، وتم تشييدها عام ١١١٦م.

وإذا ما أتجهنا صوب قلعة بيت جيرين [٢٢] ؛ نجد انها وقعت علي بعد (١٢) ميلاً من عسقلان، علي الطريق المؤدي منها إلي الخليل Habron، وقد أشار مؤرخ الصليبيين البارز وليم الصوري William of Tyre إلي وقوعها عند سفح الجبل القائمة تماماً عند بداية السهل الممتد دونما انقطاع من تلك الجبال إلي ما أسماه بئر سبع Beersheba أما قلعة يبني [٢٣] فقد أقيمت في المنطقة الواقعة بالقرب من مدينة الرملة Ramlah قريبة من اللد Lydda.

وإذا ما أتجهنا صوب قلعة [٢٤] تل الصافية وقد وقعت علي بعد ثمانية أميال من عسقلان، كما ذكرنا قريباً من القلعتين المذكورتين وأعني بهما بيت جبرين ويبني.

أما قلعة الكرك [٢٥]، فقد وقعت في الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت The dead Sea علي بعد (١٢١) ك.م جنوبي من عَمَّان، ويبلغ ارتفاعها (٣١٠٠) متر فوق سطح البحر وقد شيدت فوق قمة جبل، وانحدرت سفوحه من الجانبين بشدة حتى وادي الكرك الذي يتشعب إلي كل من وادي الست ووادي الفرنجة.

وبالنسبة لقلعة غزة [٢٦] نجد أنها وقعت علي بعد (١٥) ك إلي الجنوب من عسقلان وتمتعت بموقع استراتيجي حيوي حيث أن غزة ذاتها كانت أقرب منطقة من فلسطين صوب مصر.

بصفة عامة ؛ نجح الصليبيون في إقامة مراكز حربية هجومية ودفاعية حصينة في صورة القلاع، إلا أنهم عجزوا عن إيجاد استقرار بشري دائم في مناطق الصحراء ؛ نظراً لطبيعتها القاسية من خلال ندرة الحياة إلا من الآبار، وقلة سقوط الأمطار ناهيك عن الحر الشديد في الصيف وبرد الشتاء القارص وهكذا فإذا كانوا قد تمكنوا من إقامة مستعمرات في الساحل الشامي وفي الضفة الغربية لعناصر الأوروبيين الأمراء كما في اخزيف (عند عكا)، والقبيبة، والبيرة MahameriaMayna[٢٧] (بالضفة الغربية) ؛ إلا أنهم عجزوا عن تكرار ذلك

في النطاق الصحراوي خاصة في منطقة صحراء النقب التي ظلت تعاني من الخلخلة السكانية، وكانت من مقاتل الصليبيين العسكرية في حالة توحد إمكانات المسلمين العسكرية والسياسية ومعرفتهم بطرقها ومسالكها وإمكانية الالتفاف عليها وصولاً إلي تنسيق الجهود فيما بينهم.

لقد مكنت القلاع المذكورة في المناطق ذات الطبيعة الصحراوية، مكنت الصليبيين من تحقيق الحلم الذي طالما راودهم علي مدى نصف قرن من الزمان في صورة إخضاع عسقلان [٢٨] عام ١١٥٣م، وتم ذلك في عهد الملك بلدوين الثالث وأدي إلي إسقاط آخر الموانئ الفاطمية في بلاد الشام والقضاء علي الحامية المصرية هناك التي كثيراً ما شنت هجماتها صوب بيت المقدس العاصمة الدينية والسياسية للكيان الصليبي وبالتالي صار الساحل الشامي من السويدية (ميناء أنطاكية) شمالاً إلي غزة جنوباً خاضعاً للصليبيين وغدت قوى بلاد الشام قوى برية حبيسة ويقرر البعض أن استيلاء الصليبيين علي عسقلان عام ١١٥٣م ن ثم تولي الملك أمالريك الحكم من بعده عام ١١٦٣م، جعل استراتيجية الصليبيين تختلف، حيث لم تعد الصحراء هي المد الطبيعي لهم (٢٩)، ويعني بذلك تطلعهم صوب مصر، من اجل ضمهماً دعماً لفكرة الشامصر Syro–Egypt ؛ أي الرابطة الجغرافية والتاريخية من بلاد الشام ومصر عبر العصور.

نصل الآن إلي قناعة مفادها قدرة من يستطيع تجاوز ذلك العائق الصحراوي بكفاءة وسرعة ؛ علي حسم الصراع لصالحه، ونجد ذلك واضحاً في صورة القائد الفذ أسد الدين شيركوه الذي كان في مقدورنا وصفه بالفعل بأنه " بطل حرب الصحراء عصر الحروب الصليبية " وإذا كان المؤرخون المحدثون في الحرب العالمية الثانية [٣٠] (١٩٣٩– ١٩٤٥م) قد وصفوا القائد الألماني ايرفين روميل Erwin Rommel[٣١] (١٨٩١– ١٩٤٤م) بأنه " ثعلب الصحراء " ؛ فإن الوصف الذي وصفنا به أسد الدين شيركوه يستحقه بجدارة، دون إقال أهمية نور الدين محمود مهندس حركة الجهاد الإسلامي في النصف الثاني من القرن ١٢م والذي امتلك موهبة اختيار القائد المناسب للمهمة المناسبة، وكذلك القادة الذين عملوا تحت رئاسته – ومنهم ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي – وكذلك الجنود الذين صاحبوه حتى لا ننسب التاريخ للبطل القائد الفرد ونغفل المجموع البشري الذي شاركه صنع التاريخ ؛ لن التاريخ عموماً تفاعل حي بين القائد الفرد والمجتمع الذي أفرزه في الأصل، ومع ذلك – فمن

المؤسف أنه لم ينل التقدير الجدير به من جانب المؤرخين المعاصرين واللاحقين لذلك يمكننا وصفه بأنه من الأعلام المظلومين في التاريخ من عصر الحروب الصليبية وقد وقع اختيار نور الدين محمود (١١٤٦- ١١٧٤م) علي أسد الله شيركوه من أجل التسابق مع الملك الصليبي أمالريك Amalric (١١٦٣- ١١٧٤م) للوصول إلي مصر استثماراً لفرصة الصراع الوزاري بين شاور، وضرغام حيث لجأ الأول لطلب دعم نور الدين محمود سيد حلب ودمشق، بينما هرع الثاني صوب الملك الصليبي المذكور طلباً لدعمه ضد منافسه ومن هنا جاءت إلي مصر ثلاث حملات نورية الأولي ١١٦٤م، الثانية ١١٦٧م، والثالثة ١١٦٩م لقد نجح أسد الدين شيركوه بمهاراته في حملاته الثلاث علي مصر في الفترة من ١١٦٤م إلي ١١٦٩م، وتمكن من إنقاذها من الخطر الصليبي ونجح مع قواته من قطع الصحراء من دمشق إلي القاهرة بسرعة كبيرة وسبق الجيش الصليبي بقيادة أمالريك أثناء حملته عام ١١٦٤م[٣٢]، ولم تمدنا المصادر بكيفية حفاظه علي تموين لقواته أثناء سلوكها الطريق الصحراوي ولا نغفل في هذا المجال مهارته الشخصية وإدراكه الواعي لعنصر الزمن لذلك حرص نور الدين محمود علي اختياره لذلك الأمر، لأنه لم يرسله في امر إلا ونجح، ولم يولجه في مضيق إلا فتحه [٣٣]، إلي جانب قدرته علي اجتياز الطرق الشاقة [٣٤]، دون إغفال إمكانياته استرشاده بالأدلاء من عناصر البدو الذين خبروا تلك المناطق على نحو متوارث بطبيعة الحال.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن بشدة ما الطريق الذي سلكه ذلك القائد بقواته؟ والواقع توافر لديه طريقاً من المقرر تفضيله لاحداها وهما :

أولاً : الطريق الذي بدأ من دمشق مروراً بأراضي إقليم حوران والبثنية ليدخل إلي شرقي الأردن من جنوبي جرش نحو عمان من الكرك والشوبك وآيلة باتجاه شمال غرب خليج العقبة وألتف عابراً صحراء شبه جزيرة سيناء [٣٥].

ثانياً : الطريق الواقع شرقي الكرك والشوبك وبدأ من بصري ثم الأزرق، والجفر، وأرم، وأيله ثم يعبر شبه جزيرة سيناء، وهناك من يؤكد أن الطريق المذكور هو الذي سار فيه ذلك القائد خلال حملاته الثلاثة [٣٦].

ومن المفترض توافر خبرة بخطوط السير لقواته خلال ظروف جوية متباينة على نحو أعانه علي اجتيازها بنجاح وعلينا في هذا الصدد ألا نغفل أهمية الخيول العربية الأصيلة التي امتطاها الفرسان المسلمون من عناصر الجيش النوري حيث تمتع الحصان العربي بعضلات مفتولة كذلك فتحتي أنف كبيرين مما مكنه من التنفس بكميات كبيرة من الأوكسجين بصورة كبيرة على نحو جعله يقطع مسافات كبيرة، ونتصور – دونما مبالغة – أن الحصان العربي كان هنا سيد الموقف علي اعتبار كونه وسيلة الانتقال الرئيسية في ذلك العصر [٣٧] كذلك هناك الجمال سفينة الصحراء القادرة علي تمل العطش لمسافات بعيدة هكذا تمكن أسد الدين شيركوه – ولا نغفل دور ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي (١١٧١-١١٩٣م) –من اجتياز الصحراء بكفاءة واقتدار بسرعة على نحو فرض واقعاً استراتيجياً أكد نجاح التحالف النوري العباسي ضد الفاطميين في القاهرة على نحو أدى في النهاية إلي إسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م التي سقطت من الداخل قبل سقوطها من الخارج، وهو أمر كان بمثابة المقدمة الحقيقية لإسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٨٧م على نحو غير بصورة جذرية توزيعات الجغرافيا السياسية في المنطقة بصورة غير مسبوقة منذ مقدم الصليبيين إلي بلاد الشام عام ١٠٩٨م، دون إغفال إسهام قادة حركة الجهاد الإسلامي السابقين الذين مهدوا الطريق لذلك الانتصار التاريخي وصانعيه.

لقد أدي ذلك النجاح المسلمين في اجتياز " التحدي الصحراوي وعجز الصليبيين عن التفوق عليهم إلي تأكيد فكرة محورية مفادها أن الصليبيين نجحوا آسيوياً وفشلوا أفريقياً[٣٨] وكان ذلك من العوامل الرئيسية في إخفاق مشروعهم الاستعماري (أي الاستخرابي)، في نهاية المطاف بصورة دعمت حقيقة مؤكدة مفادها أن القوي الإسلامية في بلاد الشام عندما تعاملت منفردة مع العدوان الصليبي ؛ عجزت عن الوصول إلي تفوق حقيقي ضده، أما عندما اتحدت تلك القوي مع مصر أمكن حسم الأمر لصالحها وكان ذلك مقدمة لطرد الصليبيين الغزاة من المنطقة بأسرها في نهاية المطاف كما حدث في عام ١٢٩١م بطردهم من آخر معاقلهم في عكا.

ولا نغفل هنا إدراك أن الجانب الجغرافي كان منذ البداية في صالح المسلمين ولم يكن في صالح أعدائهم، من خلال التنوع واختلاف مظاهر السطح بتضاريسه المختلفة

والتناقض الداخلي بين أجزاء ذلك الكيان الغازي الدخيل، إلا أن ذلك العنصر احتاج إلي من امتلك رؤية وحدوية فكان ذلك متمثلاً في ثلاثية القادة نور الدين محمود، وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي الذي دخل التاريخ من أوسع الأبواب والذي نقل الصراع بين الجانبين من مرحلة توازن القوى (١١٤٦- ١١٧٤م) إلي الميل لصالح المسلمين (١١٧١- ١١٨٧م).

ومن المهم هنا إدراك خبرة أهل البلاد الأصلية بطبيعتها الجغرافية، ومعرفتهم بكل كبيرة وصغيرة واستغلالهم الذكي لمعاقل الصليبيين خاصة في المناطق المخلخلة سكانياً، وهكذا، فبعد أن كانت الصحراء عنصر فصل وإعاقة لصالح الصليبيين خاصة بعد دعمها بالقلاع الصليبية صارت مع الرؤية عنصر وصل بين القوي الإسلامية الوحدوية.

وإذا كانت الصحراء قد مثلت عاملاً تأمينياً للصليبيين أحياناً، فإنها لم تكن لتضمن لهم التفوق الدائم خاصة أن أعداءهم من المسلمين، امتلكوا مميزات لا تتكر في صورة توافر سهول الأنهار مثل النيل، والعاصي، والفرات، حيث وجدت مناطق كثافات سكانية نوعية مثل منطقة الجزيرة الفراتية –ذات المخزون البشري الذي لا ينضب – وكذلك بلاد الشام، ومصر، وقد أمكن فيما بعد استغلالها من أجل تكوين أكبر قوة ضاربة في المنطقة أحاطت بالغزاة من الشرق والجنوب كما حدث في عصر صلاح الدين الأيوبي بصورة تركت أثرها العميق علي توازن القوى بين الطرفين المتصارعين.

من ناحية أخرى، ادرك المسلمون خطورة وجود قلاع صليبية في المناطق الصحراوية ذات الأهمية الاستراتيجية، وقد ظهر ذلك من خلال اتجاه صلاح الدين الأيوبي – مبكراً – وفي عام ١١٧٠م – وقبل عام من إسقاط الخلافة الفاطمية إلي ضم أيله [٣٩] من أجل حرمان الصليبيين من ذلك الموقع الاستراتيجي الحيوي السالف الذكر.

لقد جاء ذلك الأمر دليلاً وضاحاً علي عمق رؤيته الاستراتيجية ونظرته المستقبلية الصائبة، وإدراكه العميق لعدم قدرته علي النجاح في الصدام المرتقب مع الصليبيين دون إخضاع تلك المنطقة المحورية التي تربط مصر ببلاد الشام بطريق الحج وكذلك التجارة وهي عصب الاقتصاد الأيوبي.

من ناحية أخرى كان للنطاق الصحراوي أثره علي مجريات الصراع العسكري بين الصليبيين والمسلمين فيما قبل معركة حطين عام ١١٨٧م، ولا أدل علي ذلك مما حدث للجيش الأيوبي عام ١١٧٦م عندما حلت به هزيمة تل الجزر Montgisard وقد قاده صلاح الدين الأيوبي بينما قاد الصليبيون الملك بلدوين الرابع Baldwin IV[٤٠](١١٧٤-١١٨٥م) ومعه قادة صليبيون آخرون أبرزهم رينودي شاتيون (أرناط) (١١٢٥-١١٨٧م) وقد اتجه صلاح الدين الأيوبي إلي محاربة الصليبيين ؛ فغادر القاهرة في نوفمبر عام ١١٧٣م وتوجه صوب فلسطين، ونزل علي عسقلان، وعندما علم الملك الصليبي المذكور بتقدمه ؛ أسرع إلي عسقلان وكانت القوات الأيوبية قد تمكنت من فرض الحصار عليها، وأتجه صلاح الدين ببعض قواته نحو حصار بيت المقدس، فطلب ذلك الملك الصليبي الدعم من قوات الداوية Templers في غزة من اجل اللحاق به في عسقلان، وعندما كانت القوات الأيوبية تحتاز منخفضاً عند تل الجزر Mantgisard إلي الجنوب الشرقي من الرملة [٤١] ؛ أنقض الصليبيون عليها، فلاذ عدد كبير منهم بالفرار، ويلاحظ أنهم افتقدوا وجود حصن قريب ليمكنهم من اللجوء إليه والاحتماء فيه [٤٢]، أما صلاح الدين الأيوبي نفسه فقد تولي حراسه حمايته، وتعرض للموت عدة مرات خلال تلك المعركة التي وقعت في منطقة ذات طابع صحراوي صرف، وهام جنوده علي وجوههم، ولجأوا إلي مستنقع عرف فيما بعد بعين القصب [٤٣] أختبأ بعضهم فيه، وقاموا بالانطلاق نحو صحراء شبه جزيرة سيناء القاحلة متجهين صوب مصر وهم علي أسوأ حال حيث يؤد ابن شداد أنهم ضلوا الطريق [٤٤] وتبددوا، وتم وصف تلك المعركة بكسرة الرملة.

ويقدم لنا مؤرخ الصليبيين البارز والمعاصر لتلك الأحداث وليم الصوري William of Tyre المزيد من التفاصيل عن المعركة خاصة أن المصادر الأيوبية لا تقدم لنا إلا الأقل القليل وهو أمر متوقع تماماً ويتضح من خلالها أن الهزيمة كانت فادحة، وقد أضطر فرسان الجيش الأيوبي إلي إلقاء متعلقاتهم منها مائة درع من علي ظهور الخيول حتى يتمكنوا من الإسراع بالفرار [٤٥].

ومن المهم ملاحظة أثر الحوال الجوية في ذلك النطاق الجغرافي الصحراوي، إذ كان هناك البرد الشديد، وقرر نفس المؤرخ ما نصه أن العوامل الجوية نفسها قد تآمرت ضد الأعداء [٤٦] يقصد المسلمين.

كما لا نغفل أن عناصر البدو من قبيلتي جذام وثعلبة تحالفت مع الصليبيين وهاجمت القوات الأيوبية القارة من ميدان المعركة [٤٧] ومن المفترض قيامهم بالهجوم علي خطوط تموين تلك القوات على نحو يؤكد تعدد العوامل المعوقة لذلك الجيش حينذاك، وهكذا، جعلوا من انفسهم مرتزقة يقدمون خدماتهم لمن يدفع لهم المال، ولذلك كان البدو أحياناً أشد خطراً علي المسلمين من الصليبيين انفسهم من خلال التنسيق المعلوماتي بين الجانبين ؛ مما دل علي أن ذلك السلطان وجيشه واجها أعداء الخارج وخونة الداخل في نفس الحين مما صعب عليه مهامه في الجهاد مع ذلك علينا ألا نعم الحكم علي كافة البدو هناك ونصفهم بالخيانة إذ وجدت أدوار جهادية لعناصر أخرى عملت بإخلاص تحت راية الجيش الأيوبي خاصة من قبيلة طي.

لقد كانت هزيمة تل الجزر بمثابة الدرس الصحراوي القاسي لصلاح الدين الأيوبي بعد ست سنوات فقط من تحقيقه لانتصاره السياسي المحوري البارز بإسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م، وقد خرج منه بحقيقة يقينية مفادها أن الانطلاق لمحاربة الصليبيين لا يكون من الجنوب بل من الشمال، وبالتالي كانت طبيعة تضاريس بلاد الشام في المنطقة الواقعة من دمشق إلي الجليل الأعلى بشمالي فلسطين أنسب وأفضل استراتيجياً من الانطلاق من مصر حيث الفاصل الصحراوي في صورة شبه جزيرة سيناء وصحراء التقب وهكذا كان النطاق الجبلي والسهلي هو أفضل من النطاق الصحراوي.

هكذا، في مقدورنا القول أن هزيمة تل الجزر عام ١١٧٧م كانت المقدمة الحقيقية لانتصار حطين عام ١١٨٧م ؛ مع عدم إغفال الجهد البارز الذي بذل من جانب السلطان وقادته وجنوده خلال ما عرف بحرب الاستنزاف الأيوبية التي كانت بمثابة تدريب ميداني علي دخول المناطق الصليبية عام ١١٨٧م ويثار هنا تساؤل مهم ليس في مقدورنا حسم إجابته، وهو يتصل بإمكانية وجود مقاومة إسلامية شعبية ضد الصليبيين خلا المرحلة من ١٠٩٩ إلي ١١٨٧م، وأمام صمت المصادر التاريخية التي شغل مؤرخوها بتناول أحداث الصراع الإسلامي – الصليبي من خلال دور الحواضر الكبرى وكذلك القيادات البارزة لدي كل من الطرفين، وليس في مقدورنا الإجابة عن ذلك التساؤل، ومع ذلك ؛ من المفترض حدوث مقاومة خاصة أننا نعرف حدوثها في المناطق الجبلية كما في حالة طريق يافا – بيت المقدس [٤٨]،

وهو أمر أشارت إليه مؤلفات الرحالة الأوروبيين الذين قدموا من اجل الحج إلي الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين بينما أغفلته المصادر الإسلامية المعاصرة.

وهكذا، فمن المستبعد منطقياً أن يظل المسلمون في المناطق الصحراوية دون القيام بأية مواقف مقاومة للصليبيين ؛ خاصة أن القوات الأيوبية عندما دخلت مناطق المسلمين الخاصة للاحتلال الصليبي في أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م، وجدت دعماً منهم على نحو يسر لها مهمته تحرير الأرض المغتصبة وعودتها ثانية للسيادة الإسلامية – ويدعم هذا الافتراض ؛ أن الغزو الصليبي لبلاد الشام بدأ عهده بسلسلة من المذابح الدموية وصلت ذروتها في بيت المقدس خلال الأيام من ١٥ – ٢٥ يوليو ١٠٩٩م (٤٩)، كذلك ظل ذلك الكيان كياناً أجنبياً عدوانياً لم يكتسب البتة أية مشروعية تدعم وجوده في المنطقة، كما أن التاريخ الشفهي الحي الذي غذته الذاكرة الجماعية الذي رواه الأجداد للآباء ومن بعد ذلك الأحفاد ظل يقدم زاداً يدعم العداء تجاه الصليبيين ولذلك ليس غريباً أن المؤرخ البريطاني البارز جوناثان رايلي كتب بعنوان : لم يستتب السلام [٥٠] البتة ويقصد بذلك العلاقة بين المسلمين والصليبيين ويتصل بموضوع الدراسة، أمر التصحر Desatification ويُعرف علي انه تدهور الأرض في المناطق الجافة وشبه الجافة والرطبة ونتج عن عوامل عدة منها التغيرات المناخية والأنشطة الإنسانية [٥٢] عندما يحل التصحر بمكان ما نجد تراجعاً للحياة الفطرية حيث تهاجر الأنواع الحيوية من اجل طلب الحياة في مكان آخر يلائم حياتها الأصلية.

هناك عدة أنواع من التصحر، منها تصحر أولي خفيف، ثم تصحر متوسط، وتصحر شديد، وتصحر شديد للغاية، ويرصد الباحثون العديد من الخصائص والصفات والعوامل التي تساهم في أحداث التدهور وعدم التوازن [٥٤] البيئي وهو امر متنوع علي مدى حقب التاريخ قديماً ووسيطاً وحديثاً بطبيعة الحال.

عاني الصليبيون من التصحر، وكان من أسباب ذلك احتباس الأمطار ؛ وهو أمر لا تشير إليه المصادر التاريخية الصليبية، ولذلك علينا البحث عنه لدى المصادر الإسلامية المعاصرة كما لدي ابن القلانسي (ت ١١٦٠م) وهو مؤرخ دمشقي اهتم في كتابه بهذه الناحية، ونظراً لقرب المساحات الجغرافية بين مناطق المسلمين والصليبيين، لذلك فإذا أشار

ذلك المؤرخ إلي احتباس الأمطار [٥٥] في مناطق دمشق وحوران، فالمفترض أن مملكة بيت المقدس الصليبية عانت هي الأخرى من نفس الظاهرة الجغرافية.

كذلك كان من عوامل التصحر امتداد واتساع ميدان العمليات العسكرية إلي مناطق ريفية ؛ على نحو أدي إلي تدمير المساحات المزروعة وتحولها إلي مناطق صحراوية بصورة أو بأخري خاصة مع مغادرة الفلاحين وأسرهم ودوابهم تلك المناطق لافتقادهم الأمان، ويقرر أحد المؤرخين أن الهجوم الصليبي المتكرر علي ريف دمشق، وحلب، وحمص، وحماه في القرن ١٢م حمل فكراً استراتيجياً في صورة محاولة إسقاط تلك المدن للاستفادة من المد الصحراوي واستخدامه كدرع دفاعي طبيعي [٥٦] للدفاع عن المناطق الريفية الصليبية يضاف إلي ذلك إغارات أسراب الجراد علي مناطق الصليبيين، وهو ما دث – علي سبيل المثال – عام ١١٢٠م بعد أقل من ربع قرن من غزوهم للمنطقة وذلك خلال عهد الملك بلدوين الثاني[٥٧] Baldwin II (١١١٨– ١١٣١م) على نحو ادى إلي إلتهام الحقول وزيادة مساحة المناطق الصحراوية وجاء ذلك إيذاناً بحدوث مجاعة خاصة في الحبوب لدي الصليبيين، ولذلك اضطروا إليمناقشة الأمر من خلال مجلس نابلس المنعقد (٥٨) فى ١٣ يناير ١١٢٠م من أجل البحثعن أفضل الحلول لمواجهة الموقف كذلك اشتروا كميات كبيرة منها من مناطق المسلمين الأمر المؤكد ؛ أن إغارات أسراب الجراد كان لها دورها البارز في حدوث التصحر، وبالتالي تعاونت عدة عوامل على نحو أدي إلي تهديد الصليبيين من خلال تلك الظاهرة علي الرغم من حرصهم الشديد علي الابقاء علي المساحات الخضراء من اجل توفير الغذاء الأساسي لهم خاصة الحبوب وعلي رأسها القمح.

لتوفيرها للسكان الصليبيين وكذلك عشرات الآلاف من الحجاج الوافدين إلي الأماكن المقدسة الذين كانوا خير سفراء الملكة الصليبية بعد عودتهم إلي بلادهم دعموا الوضع الدولي لها خارجياً خاصة في الوطن الم أوروبا.

بصفة عامة توالت أحاث الصراع بين الصليبيين والمسلمين إلي أن حدثت معركة حطين الفاصلة [٥٩] عام ١١٨٧م، ولا نغفل في هذا المجال ملاحظة أن شرارتها اشتعلت من خلال نهب الفارس الصليبي رينو دي شاتيون Renauld Chatillon (أرناط) [٦٠] لقافلة تجارية كبيرة مارة بالطريق الصحراوي بين القاهرة ودمشق بالقرب من قلعة الكرك خارقاً بالتالي المعاهدة التي كانت موقعة بين صلاح الدين الأيوبي ومملكة بيت المقدس الصليبية، ودل ذلك علي أهمية النطاق الصحراوي والصراع عليه اقتصادياً وسياسياً في مستقبل تاريخ

تلك المملكة خاصة في ظل وجود ملكية صليبية ضعيفة وتنامي نفوذ أمراء الطراف وعلى نحو خاص في صورة فارس متعصب ومندفع مثل إرناط ولست في حاجة إلي تكرار ما هو معروف سلفاً حيث تهاوت العديد من القلاع الصليبية الصحراوية مثل بيت جبرين، والداروم، وغزة وجاء ذلك كجزء من انهيار المنظومة الدفاعية الصليبية برمتها.

وذلك من النتائج البارزة والحاسمة لتلك المعركة الفاصلة والتي تمثلت في تدمير الجيش الصليبي ووقوعه بين قتيل وجريح وأسير وفتح مدن الساحل الشامي وإسقاط القلاع الصليبية، ثم فتح بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م، بعد أن ظلت في الأسر الصليبي علي مدى المرحلة من ١٥ يوليو ١٠٩٩ إلي يوم تحريرها المذكور.

هكذا في مقدورنا القول بنجاح ما يشبه (المنجل الإسلامي) (القاهرة – دمشق – حلب– الموصل) عبر صحراء مصر الشرقية وشبه جزيرة سيناء وبادية الشام في مواجهة باقي ما يشبه (البلطة الصليبية) (الذراع في الساحل والرأس في الرها التي سقطت عام١١٤٤م على نحو كان له أثره البالغ في تطور الأحداث وصولاً إلي طرد الغزاة من بلاد الشام علي أيدي المماليك عام ١٢٩١م.

ومن اجل الربط بين الماضي والحاضر، نجد دويلة إسرائيل استفادت تماماً من تجربة الحروب الصليبية ولذلك حرصت علي تجنب أخطاء غزاة العصور الوسطي ولا ادل علي ذلك من ظهور عدد من كبار المؤرخين فيها مثل يوشع براور – وهو رائد مؤرخي الحروب الصليبية وبينيامين كيدار، وسلفيا سكين وأرابيه جرابوا، وقد عملوا علي دراسة المشكلات التي واجهت الصليبيين من أجل محاولة تجنبها في تجربة الاستعمار الصهيوني لفلسطين، لذلك اتجهت إلي إتباع سياسة خاصة تجاه النقب أهم ملامحها في صورة التالي:

أولاً : إقامة مستوطنات يهودية بها، واستصلاح الأراضي وإيجاد كيان سكاني يهودي بها من خلال عدة مدن مثل ديمونا [٦١] وعرادة وإيلات ونتيفوث، وأفقيم، ويرحام، وسدى بوكر وغيرها.

ثانياً : مصادرة أراضي عناصر البدو من عرب فلسطين بحجة القيام بمشروعات تعمير النقب.

ثالثاً : إقامة مفاعل ديمونة الذي تصدر عنه إشعاعات نووية ودفن نفايات نووية في بئر سبع ومثال ذلك مرت الظاهرية على نحو أدى إلي تزايد معدل الإصابة بالسرطان

بشهادة أطباء عالميين وناشطين حقوقيين أكدوا امتلاكها لأسلحة نووية ودفنها لتلك النفايات هناك.

خلص البحث إلي عدة نتائج يمكن إجمالها علي النحو التالي :

أولاً : كان للصحراء دورها البارز في قضايا الصراع السياسي والعسكري الصليبي – الإسلامي وكان من يستطيع تجاوزها بكفاءة واقتدار وسرعة ؛ في مقدوره حسم المور لصالحه، وقد احتاج المسلمون نحو ستة عقود إلي أن تمكنوا من تحقيق ذلك الأمر من خلال كفاءة القائد البارز أسد الدين شيركوه – ومن معه الذي يمكن وصفه بأنه بطل حرب الصحراء في عصر الحروب الصليبية.

ثانياً : أدرك الصليبيون أن النطاق الصحراوي في حدودهم السياسية احتوى علي جوانب قوة وأخرى جوانب ضعف ولذلك حرصوا علي دعمه عسكرياً بإقامة عدة قلاع في الجنوب الغربي من فلسطين، ولا ريب في أن تلك القلاع قامت بدورها من اجل إعاقة تدخل، وتعاون عسكري إسلامي بين بلاد الشام ومصر خاصة خلال المرحلة السابقة علي معركة حطين عام ١١٨٧م.

لا يعني الاهتمام بالصحراء التعصب لنطاق جغرافي معين علي حساب النطاقات الأخرى ؛ إذ أن الصراع بين المسلمين والصليبيين شمل كافة المناطق مثل الساحل الشامي، والمناطق الجبلية وسهول الوديان الفيضية وكذلك المناطق الصحراوية، على نحو اكد شمولية الظاهرة الجغرافية وديمومة الحركة التاريخية عبرها خلال ذلك العصر،

ثالثاً : من غير المنطقي كتابة حركة الجهاد الإسلامي من خلال مرحلة الدراسة وكذلك التاريخ الباكر لصلاح الدين الأيوبي ضمن جيش عمه أسد الدين شيركوه، دون الحيوانات التي قامت بدور بارز في صورة الخيول والجمال وهي وسيلة الانتقال الرئيسية فالتاريخ عموماً ليس تاريخ بشر فقط بل بشر وحيوانات وطيور.

ذلك عن دور الصحراء والتصحر في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام خلال المرحلة من ١٠٩٨-١١٨٧م.

الهوامش:

أدين بالفضل في إعداد هذا البحث إلي معهد بحوث الصحراء في المطرية بالقاهرة ، ومكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وكذلك بالشارقة ومكتبة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي .

يلاحظ وجود دراستين أكاديميتين عن الصحراء في صورة التالي :

محمد عبد المنعم محمد عبده ، صحراء مصر الشرقية في العصر الأيوبي المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩م .

إيمان المهدي، الأعراب في بلاد الشام ودورهم في الحياة السياسية عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة دمنهور عام ٢٠٠م (أود الإشارة بهذه الأطروحة العلمية المتميزة ومشرفها ا.د. علي أحمد السيد أستاذ تاريخ العصور الوسطي بكلية الآداب – جامعة دمنهور .

كذلك لا أغفل أهمية نقاش بالغ الأهمية مع أستاذي ا.د. أحمد رمضان احمد أستاذ تاريخ العصور الوسطي بكلية الآداب جامعة عين شمس (ت ٢٠١١م) .

(١) عن مرتفعات الجولان أنظر :

أحمد محمود حسن ، الجولان تاريخ جذور دراسة جغرافية سياسية ثقافية ،ط. دمشق ٢٠٠٦م ، حمزة عطية حسين ، الجولان بين الماضي والحاضر ،ط. دمشق ٢٠٠٧م ، أديب سليمان دباغ، الجولان دراسة في الجغرافيا الإقليمية ،ط . دمشق ١٩٨٣م ، مصطفي الحياري ، مدينة بانياس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، مجلة دراسات ، م(١٢) ، العدد (١٣) عام ١٩٨٦م ، سامية عامر ، بانياس الداخلية ودورها في الصراع الصليبي – الإسلامي ، رسالة ماجستير كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩ ، نويرة حلاق ، حوران والسواد منذ بداية الحروب الصليبية حتى حطين ٤٩١–٥٨٣هـ جري / ١٠٩٨–١١٨٧ميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة دمشق عام ٢٠٠١م ، تيسير خلف استكشاف الجولان ٨٠٥–١٨٨٠م ،ط. دمشق ٢٠٠٦م .www.Jawlan.org

ألفت نظر القارئ إلي الفارق بين بانياس الحولة (وهي هنا في الجولان) وبانياس اللاذقية

(٢) عن شبه جزيرة سيناء أنظر :

نعوم شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب ، تحقيق صبر ي أحمد وجغرافيتها ،ط.٢٠٠٧م ، عباس عمار ، المدخل الشرقي لمصر ،ط. القاهرة ١٩٤٦م ، رفعت الجوهري ، سينا وأرض القمر ،ط. القاهرة ١٩٦٥م ، احمد رمضان ، سيناء في العصور الوسطي ،ط. القاهرة ١٩٧٧م ، يسرية عبد العزيز حسني ، المدخل الشرقي لمصر دراسة في مواقع آثار شمالي سيناء ،ط. القاهرة ٢٠٠٣م ، جوزيف نسيم يوسف ، سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (١١٤) ، عام ١٩٧٧م ، ص ٩٨– ص ١٢٢ .

نورا عبد الرحمن الهيتي وحسين الشمري ، التصحر التحدي والاستجابة ،ط. عمان ٢٠٠١م ، ص١١ .

(٤) فتحي فياض ، فلسطين الموقع والموضع دراسة جيوبولوتيكية ، ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ ، إشراف ا.د. حامد زيان ،ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٣٩ ، شكري مقبل ، الأحوال السياسية والحضارية في فلسطين خلال عصر دولة المماليك الأولي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠٢هـ ، ص ٩

(٥) محمد رضوان خولي ، التصحر في الوطن العربي ، انتهاك ا للأرض عائق في وجه الإنماء العربي ،ط. بيروت ١٩٩٠م ، ص ١٢٤ .

(٦) نفسه ، نفس الصفحة .

(٧) الأخدود الأفريقي العظيم أنظر :

محمد صبري سليم ، الظاهرات البيمورفولجية الرئيسية دراسة تحليلية ،ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٢٧- ص ٢٩ ، يسري الجوهري ، الوطن العربي دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية ،ط. الإسكندرية ١٩٧٩م ، ص ١٩٨، محمد سامي عسل ، الجغرافية الطبيعية ،ط. القاهرة ١٩٧٣م ، ص ١٦٠ ، فتحي أبو عيانة ، جغرافية إفريقية دراسة إقليمية مع التطبيق علي دول جنوب الصحراء ،ط. بيروت ١٩٨٢م ، ص ٨٢ ، عبد المنعم بلبع ، الأرض والإنسان في الوطن العربي ،ط. القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٣٥ –ص ٣٦ علي موسي ومحمد الحماوي ، جغرافية القارات ، ط. دمشق ١٩٨٢م ، ص ٣٧٦ ، صلاح الشامي ومحمد الصفار ، جغرافية الوطن العربي الكبير ، ط. الإسكندرية ١٩٧٥م ، ص ١٣٢-ص ١٥٦.

محمد مؤنس عوض ، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص٢٢، حاشية (٢٤) .

(٨) محمد رضوان الخولي ، التصحر في الوطن العربي ، ص ١٢٤- ص ١٢٥.

(٩) نفسه ، ص ١٢٦.

(١٠) نفسه ، نفس الصفحة وعن صحراء النقب بصفة عامة أنظر :

G.E. kirk , The Negev or Southern Desert of Palestine, J.R.A.S., 73, 1941, PP57-71.

حمزة الفاروقي ، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية اقتصادية سياسية ،ط القدس ٢٠٠٨م ، ص ٤٣١- ص ٤٥٨.

(١١) عنها أنظر هذه الدراسة المهمة ، ميرون بنفنست ، الضفة الغربية وقطاع غزة بيانات وحقائق أساسية ، ت ياسين جابر ،ط. ط. عمان ١٩٨٧م .

(١٢) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ،ط. بيروت ١٩٧٠م ، ص ١٥١ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ،ط. بيروت ب-ت ، ص٢١٧ –ص ٢١٨ ، محمد مؤنس عوض ، دور عنصر الحياة في تاريخ الصليبيين ببلاد الشام في المرحلة من ١٠٩٩، ١١٨٧م / ٤٩٢- ٥٨٣ هـ ، مركز بحوث الشرق الأوسط عام ٢٠٠٢م ، ص ٥ .

(13) J. Powers, The latin kingdom of Jerusalem , European Colonialism in The Middle Ages, London 1943, p.24

(١٤) عن القلاع أنظر :

P. Deschamps , Les Chateaux des Croises en Terre Sainte , la defense du Royaume de Jerusalem , 2 vols., Paris 1939.

R.Fedden , Cousader Castles, Beirut 1950.

H. Kennedy, Crusader Castles , Cambridge 2001.

T.E. Lawrence ,Crusader Castles , London 1936.

صلاح عبد المنعم ، القلاع في مملكة بيت المقدس الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات – جامعة الإسكندرية عام ٢٠٠٠م (دراسة ممتازة). علي عودة الغامدي ، حصن بغراس ودوره في الحربي في عصر الحروب الصليبية ، ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية ، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ،ط. القاهرة ١٩٩٥م ، ص ٢٦١ – ص ٣١٤ .، ومتي سميل ، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م) ، ت . محمد وليد الجلاد ،ط. دمشق ١٩٨٢م ، ص ٢٩٩ –ص ٣٦٤ ، إيمان كامل ثابت ، القلاع الصليبية في بلاد الشام في القرن ٧هـ م ١٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب –

جامعة عين شمس عام ٢٠٠٩م ، مولر القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت محمد وليد الجلاد، ط. دمشق ١٩٨٤م . طارق الصوافي ، القلاع في شمال فلسطين في فترة الصراع الفرنجي الإسلامي ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م - ١٢٩١م،ط. عكا ٢٠٠٠م ، سرور عبد المنعم الدور السياسي لحصن شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٧م ، مصطفي طلاس ومحمد وليد الجلاد ، قلعة الحصن حصن الأكراد ،ط. دمشق ١٩٩٠م ، مرفت محمد سالم ، حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م .

(١٥) عن بلدوين الأول أنظر :

Daniel , pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy land , Trans. Wilson , P.P.T. S., Vol , London 1895,P.55.

Fulcher of Chartes , A history of The Expedition to Jerusalem , Trans , Frances Rita Ryan, Tennessee 1969,PP. 137-223.

William of Tyre , A History of deeds done beyond The Sea , Trans .E.A. Babcock and A. Krey , VOI.I ,PP.415- 516.

H. Mayer , Etudes sur l, Histoire de Baudouin ler Roi de Jerusalem , Melauges sur l, Histoire du Royaume latin de Jerusalem de l, Acadmie des inscriptions et Battles- letters Paris 1984, PP 10-91.

هنادي السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م - ٤٩٤ - ٥١٢هـ) ،ط. القاهرة ٢٠٠٨م (أفضل دراسة في موضوعها بالعربية وقد أشرفت عليها كأطروحة ماجستير) محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧ميلادية ،ط. القاهرة ١٩٩٢م ، ص ٨٠ ، أسامة زكي زيد ، حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل ١١٠١- ١١٠٥م / ٤٩٥-٤٩٩هـ ، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عدد (٢٩) عام ١٩٨١م، ص ٢٥-ص ٦٩ .

(١٦) عن فولك أوف أنجو أنظر :

Orderic Vitalis , The Ecclesiastical History of Orderic Vitalis , VolIV , Oxford 1973, PP.184-186 .

H.Mayer , " Angevins Versus Norans : The New Men of king Fulk of Jer usalem . A. P.S., 133, 1989, PP.1-25, Id, The Wheel of Fortune Seignorial Vicissitudes under kings Fullk and Baldwin III of Jerusalem S., LXV, 1999, PP 860-877

سرور عبد المنعم ، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١- ١١٤٣م / ٥٢٦- ٥٣٨هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية البنات -جامعة عين شمس عام ٢٠٠١م م .

(١٧) عن بلدوين الثالث أنظر :

William of Tyre, VOI .PP.136 -297.

M.Baldwin , " The Latin states under Baldwin III and Amaltic I C1143-1174), in A history of The Crusades, ed. Setton VOI.I , Wisconson 1969, PP528- 548.

عبد اللطيف عبد الهادي السيد ، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الثالث (١١٤٦- ١١٦٣م) ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م .

(١٨) عنهما انظر :

Fulcher of Chartres,P.218.

هنادي السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول ، ص ١٢٤- فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ت. كمال اليازجي ،ط. بيروت ١٩٥٩م ،جـ٢ ، ص ٢٣ – سعد المومني ، القلاع الإسلامية في الأردن ، ص ٢٤٣- ص٢٤٥ .

(١٩) عنهما أنظر :

يوسف غونمه ، أيلة (العقبة) والبحر الأحمر ،ط. عمان ١٩٨٤م .

(٢٠) عنهما أنظر : رياض شاهين ، قلعة جزيرة فرعون ساحة الصدام الصليبي الإسلامي ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ،م (٣١)، العدد (٣) عام ٢٠٠٤م . ص٥٥٠-ص٥٦٦ ، عبد الرحمن زكي ن القلاع في الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥) عام ١٩٦٩م ، ص ٥٦ ، جمعه الجندي ، حياة الفرنج وتظهر في الشام في القرنين ١٢ ١٣م ، رسالة دكتوراه كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م ، ص ٤٨.

J. M. Mouton et A.S. Abd al Malik , la Foeresse de Lile de Graye , (qalat Ayla) a, l, epoqque de Saladin , etude epigraphque et historique , A.Isl., XXXIX . 1995, PP 76- 89. M. Benvenisti, The Crusaders in The Holy Land, Jerusalem 1970, P.322.

(٢٢) عن قلعة الوعيرة أنظر :

Saviynac , Auqirah , R.B., T.XII 1903, PP114- 130

فؤاد الدويكات ، إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية ،٤٩٢- ٥٨٣هـ / ١٠٩٩- ١١٨٧م ،ط. أربد ٢٠٠٩م ن ص ١٤٣ محمد مؤنس عوض ، وليم الصوري مؤرخاً للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ضمن كتاب الحروب الصليبية .

(٢٢) عن قلعة بيت جبرين أنظر :

William of Tyre, VOI. II ,P.81 . P.82 Fetellus , Description of The Holy land , Trans . R. Macpherson, P.P. T.S., VOI.V, London 1897, P.41.

سعيد عاشور ، الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي ،ط. القاهرة ١٩٨٢م ،جت١ ، ص ٥٥١ ، السيد الباز العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م ،جـ١ ، ص ٣٧٤ محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ،ط. رام الله ١٩٩٩م ، ص ٧٧- ص ٧٩ ، علي احمد السيد ، الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ .

(٢٣) عن قلعة ينبي أنظر :

William of Tyre , VOI. II زP82 ,P.130

إبراهيم سعيد فهيم ، يافا ودورها في الصراع الصليبي – الإسلامي ١٠٩٩- ١٢٩١م / ٤٩٢- ٦٩٠هـ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٩١م ،ص ٩٨ حاشية (٢) مولر القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت . محمد وليد الجلاد ،ط. دمشق ١٩٨٤م ، ص١٦ .

(٢٤) عن قلعة تل الصافية أنظر :

William of Tyre , VOI .II ,P131 Nicholson , The Growth of The Latin States (1118- 1144), in A History of The Crusades , ed . K.Setton and M. Baldwin , VOI . I, Madison 1965, P. 444, M. Benvenisti, The Crusaders in The Holy Land , P.116.

(٢٥) عن قلعة الكرك أنظر :

William of Tyre , VOI.II , P. 127.

يوسف درويش غوانمة ، إمارة الكرك الأيوبية ،ط. عمان ١٩٨٢م ، ص ٤٦ ، نفسه التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي ،ط. عمان ١٩٨٢م ، ص ٢٥٩.سعد المومني ، القلاع الإسلامية في الأردن في الفترة الأيوبية والمملوكية ،ط. عمان ١٩٨٨م ، ص ١٥٦ (دراسة فريدة من نوعها وتجوي جهداً رياديا) ، أحمد رمضان أحمد ، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٦٥ –ص ٦٦ (دراسة مهمة من جانب مؤرخ صاحب خلفية عسكرية .

(٢٦) عن قلعة غزة أنظر :

William of Tyre, VOI, II ,P. 202 Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans . A Stewart , P.P. T. S. ., VOI . XI, London 1896, P. 14.

H. Mayer , The Crusades , Trans . John Gillingham , Oxford 1972, P. 151.

أما عن غزة نفسها فأنظر عنها :

حسن المسحال ، غزة والدارة م ، عصر الحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات جامعة عين شمس عام ٢٠٠١م ، دلال راشد عيسي ، غزة ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ١٠٩٥– ١٢٩١م / ٤٨٦–٦٩٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة –كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ١٩٩٨م

(٢٧) عن ذلك انظر :

R. Pringle, Mogno Mohumeria (al-Bira): The Archaeolgy of Afrankish New Town in Palestine in Crusade and Settlement , ed .P.Edbury, Cardiff 1985,PP.148-168>

F.M. Adel," les deux Mahumeria El-Bira , El qouberibeh ", R.B.,XXXV, 1926,PP.172-283.

محمد مؤنس عوض ، أضواء علي مستوطنة البيرة الصليبية Magna Mahumeria (١١١١٥– ١١٨٧م/ ٥٠٩–٥٨٣هـ) ، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م ، ص ٥٣– ص ٩٣ ، جلال حسني سلامة ، الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات– جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م ، سعيد البيشاوي ، الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس والمناطق المحيطة بها ١٠٩٩– ١١٨٧م ن ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطي ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م ، ص ٢٨٤– ص ٣٢٥ ، لطيفة البوعنين ، الزراعة في عكا عصر الحروب الصليبية ١١٠٤– ١٢٩١م ن ضمن كتاب الصليبيون في الشرق بحوث لتكريم ا.د. عليه الجنزوري ،ط. القاهرة ٢٠١٣م ، ص ٢٥٧–ص٢٦٢ .

(٢٨) عن عسقلان أنظر :

William of Tyre ,Vol ,PP.148-234.

Anonymous Syriac Chronicle , The Fierst and second Crusade, Trans . Tritton , J.R. A. S, 1933,P.30,

مصطفي عبد العزيز العسقلاني ، عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م .

حسن المسحال ، عسقلان في فترة الحروب الصليبية ٤٩٢– ٦٩٠ هـ م ١٠٩٩– ١٢٩١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحكومية – غزة عام ١٩٩٩م ، محمد مؤنس عوض ،

الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ،ط. القاهرة ١٩٩٩م –٢٠٠٠م ، ص ١٨٥– ص١٨٦.

(٢٩) حسن عبد الوهاب ، أثر العوامل الجغرافية علي الحروب الصليبية منذ الحملة الأولي حتى معركة حطين ١٠٩٧– ١١٨٧م / ٤٩٠–٥٨٣هـ ، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ،ط. الإسكندرية ١٩٩٧م ،ص ٣٠٥– ص ٣٠٦.

(٣٠) عنها أنظر ببيرونفون ، تاريخ القرن العشرين ، تنور الدين حاطوم ،ط. دمشق ١٩٨٠م ، ص ٤٤٢– ص ٥٥٢ ، عبد الحميد البطريق ، التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥– ١٩٧٠م ،ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص ٣٦٩–ص ٤٧٦ ، رمضان لاوند ، الحروب العالمية الثانية عرض مصور ،ط . بيروت ١٩٩٦م ، ص٢٠–ص٤٥١ عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعي ، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلي الحرب العالمية الثانية ،ط. بيروت ١٩٧٣م ، ص ٦٢٦– ص ٦٣٠، عبد الماجد يوسف ، دراسات في تاريخ أوروبا المعاصر ١٩١٨–١٩٤٥م ، ص ٢٢٩–ص ٣٣٩؛ فريد الفالوجي ، موسوعة الحرب العالمية الثانية ، المعارك الفاصلة في الحرب العالمية الثانية ٤أجزاء ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، فيلهلم ريترفون شرام ، الاستخبارات في الرحب العالمية الثانية ، ت . ميشيل كيلو ،طز الرياض ٢٠٠٤م .

W.S. Churchill, The Second World war , 6 Voles ., London 1948– 1954.

J. lukacs , The Last European War , London 1977.

R. Griffith, Marshal petain, London 197.

(٣١) عنه أنظر :

فريد الفالوجي ، المعارك الفاصلة في الحرب العالمية الثانية ،جـ٢ ، ص ١٤٥– ص١٨٨ ، عبد الماجد يوسف ، دراسات في تاريخ أوروبا المعاصر ١٩١٨–١٩٤٥م ، ص ٢٨٣.

(٣٢) صلاح عبد المنعم ، الدور العسكري للريف في بلاد الشام خلال المرحلة من ١٠٩٩–١١٩٢م ، ضمن كتاب الصليبيون في الشرق ، كتاب تكريمي للأستاذة الدكتورة علية الجنزوري ،ط.

(٣٨) القاهرة ٢٠١٣م س ٣٢٤، حاشية (٥) .

(٣٣) ابن الأثير ، الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية تحقيق عبد القادر طليمات ،ط. القاهرة ١٩٦٣م ، ص١٢٠ .

(٣٤) صلاح عبد المنعم ، المرجع السابق ، ٢٤٢ حاشية (٤)

(35) M. Benvenisti, The Crusaders in The Holy land , Jerusalem 1976, P.5.

نقلاً عن : فؤاد الدويكات ، إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢– ٥٨٣هـ / ١٠٩٩–١١٨٧م ن ط. أربد ٢٠٠٩م ن ص ٢٢٠ .

(٣٦) نفسه ، ص ٢٢١ .

(٣٧) محمد فوزي رحيل ، الخيول عصر الحروب الصليبية .

أشبه بهذا المؤرخ الشاب وبحثه القيم الذي سلط فيه أضواء جديدة تماماً علي الموضوع المذكور ، ويعد بحثه من افضل ما كتب بالعربية في مجاله)

(٣٨) عن ذلك انظر :

محمد مؤنس عوض ، الاتجاهان الآسيوي والأفريقي في التوسعات الصليبية في القرنين ١٢،١٣، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية ،ط. القاهرة .٢٠٠٥م ، ص ٩٥–ص١٠٤.

(٣٩) عن ذلك أنظر : علي احمد السيد ، استرداد صلاح الدين أيلة من الصليبيين ، ضمن كتابحوث في تاريخ العصور الوسطي ، تحرير علي السيد وإبراهيم خميس ،طز الإسكندرية ٢٠٠٤م ، ص ٩٤– ص ٢٠٣.

(٤٠) عن الملك بلدوين الرابع أنظر :

William of Tyre , VOI. II , P.397 , P.398,P.399.

B.Hamilton , The leper king and his heirs, Baldwin IV and The Crusader kingdom of Jerusalem Cambridge 2000.

ياسر كامل ، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع (١١٧٤- ١١٨٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أسيوط عام ٢٠٠٨م .

محمد مؤنس عوض ، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب ،ط. القاهرة ٢٠١٤م .

(٤١) عن الرحلة أنظر :

William of Tyre , VOI.I ,P. 394,P.445.

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ط. بيروت ١٩٩٧م ن م٢ ، ص ٤٢١- ص ٤٢٢.

H. Mayer, Corving up Crusaders , The Early Iselin's and Ramla ," in Outremer Studies in The History of Crusading kingdom of Jerusalem , ed .B.Z. keder . H.E. Mayer and R.C. Smaile, Jerusalem 1982 , PP. 101-118, Ibd, The Origins of The lordships of Ramla and Iydda in The latin kingdom of Jerusalem , S., 60 , 1985, PP. 537-552.

(٤٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية تحقيق أحمد أبيش ، ص ١٢١ ،ط. دمشق ٢٠٠٩م ، محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦- ١٢٩١م ،ط. الإسكندرية ٢٠١١م ، ص ١٢٢.

(٤٣) خليل عثامنة ، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧- ١١٥٦م)،ط .بيروت ٢٠٠٦م ، ص ٧٥.

(٤٤) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢١.

(٤٥) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ،جـ٢ ، ص ١٠٠٤.

(٤٦) نفسه ، ص ١٠٠٤.

(٤٧) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢١ علي احمد السيد ، الخليل والحرم الإبراهيمي ، ص ٢٢٧ ، نظير حسان سعداوي ،جيش مصر في أيام صلاح الدين ،ط. القاهرة ١٩٥٦م ، ص ١٤، ص٥٤،ص٥٥، وعن معركة تل الجزر أنظر :ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ١٢١ ، أبوشامة ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،ط القاهرة ١٢٨٧م هو ،جـ١ ، ص ٥٧٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ،ط. القاهرة ١٩٥٧م، جـ٢ ، ص ٥٨ –ص ٦٣ ، المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق مصطفي زيادة، ط. القاهرة ١٩٣٤م ن جـ١ /ق١ ، ص٦٤ ، اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ،ط. القاهرة ١٩٩٣م، جـ٣ ، ص ٣٩٨، يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة ،ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص ٥٩ ، ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ت . السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٩٣م ،جـ٢ ، ص ٦٧٢- ص ٦٧٣ ، علي عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ،ط. الرياض ١٩٨٢م ، ص ١٩٩- ص ٢٠٠، محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦- ١٢٩١م ،ط. الإسكندرية ٢٠١١م ، ص ١٢٢ ، رينيه جروسيه ، الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ت . أحمد أبيش ،ط. دمشق ٢٠٠٢م ، ص ٧٢ ، محمد مؤنس عوض ، معركتا مرياكيفالون Myriokephalon (١١٧٦م) وتل الجزر Montgisard(١١٧٧م) – هزيمتان بيزنطية وأيوبية – دراسة مقارنة ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، عدد عام ٢٠١٦م ، نفسه ، معركة أرسوف ١١٩١م/ ٥٨٧هـ ، طالقاهرة ١٩٩٧م ن ص ٤٥ ، نفسه ، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، ص ٣٢٦ ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب

،ط. القاهرة ١٩٩٩م – ٢٠٠٠م ، ص ٢١١ ، محسن محمد حسين ، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، ط. بيروت ١٩٨٦م ، ص ٤١٢ ، يوسف درويش غوانمة ،إمارة الكرك الأيوبية ، ط. عمان ١٩٨٢م ، ص ١٢٠ ،خليل عثامنة ، فلسطين في العصرين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧– ١٥١٦م) ،ط. بيروت ٢٠٠٦م ، ص ٧٥ علي احمد السيد ، الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩–١١٨٧م) ٤٩٢– ٥٨٣هـ ،ط. القاهرة ١٩٩٨م ، ص ٢٢٤– ٢٢٧.

G. Schlumberger , Renauld de chtillon, Paris 1898, P Louran , Saladin Aman For Ages, London 1974, P. 96 – 99. .PP .183–186

(٤٨) عن ذلك الطريق والمقاومة الإسلامية فيه أنظر :

Daniel , P.9.

عبد الرحمن زكي ، القلاع في الحروب الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ،م (١٥) ، عام ١٩٦٩م ، ص ٦٢ ، محمود الحويري ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد (عصر الحروب الصليبية) ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٨٦ ، علي السيد علي ، محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٩٦، حاشية (٣٥)

(٤٩) عن مذبحة بيت المقدس عام ١٠٩٩م أنظر :

Anonymous , The deeds of The Franks and The Other pilgrims to Jerusalem , Trans . R.H.LL, New York 1962, P.51 Raymond d, Agjilliers , in Epeters , The first Crusade , The Chronicles of Fulcher of charters and source materials , Philadelphia 1971,

ابن القلانس ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ .

H. Hagenmeyer , Chronologie de la premirere Croisade , R. O. L., VII , 1899, PP 477– 468.

حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولي ،ط. القاهرة ١٩٥٨م ، ص ١٧٩ العروس المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ،ط. بيروت ١٩٨٢م ، ص ٥٤.

(٥٠) عن ذلك انظر J. Rilay – Smith, peace Never established

(٥١) عن التصحر أنظر :

محمد إسماعيل الشيخ ، التصحر في الجمهورية العربية السورية ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، (العدد (٢٣) ،م (٦) عام ١٩٨٦م ، محمد عبد الفتاح القصاعي ، التصحر تدهور الأراضي في المناطق الجافة ، سلسلة عالم المعرفة ،ط. الكويت فبراير ١٩٩٩م ، مجموعة من الباحثين، التصحر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مشروع الحزام الأخضر لدي لدول شمال أفريقيا ،ط. تونس ١٩٩٥م ، ص ١١ –ص ٢٢٤، محمد زغلول خولي ، التصحر في الوطن العربي انتهاك الصحراء للأرض عائق في وجه الإنماء العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط. بيروت ١٩٩٠م ، ص ١٣– ص٢٠٥ ، رياض محمد عبد العال ، ضمن كتاب التصحر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص، ص، أسامة حسين شعبان، التصحر Desertification دراسة تطبيقية من منظور جغرافي ،ط. القاهرة ٢٠١١م .يسري دعبس ، التصحر وتحديات الحياة رؤية في الأنثروبولوجيا الاقتصادية ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م ،نوزاد عبد الرحمن الصيتي وحسيب الشمري، التصحر التحدي والاستجابة ،ط. عمان ٢٠٠١م، إبراهيم نحال، التصحر في الوطن العربي ، معهد الإنماء العربي ،ط . بيروت ١٩٨٧م ، حسين الحاج محمد، في مكافحة التصحر، ط. رأس الخيمة ١٩٩٦م، مونيك مينعة، الإنسان والجفاف، ت . ميشيل موري ،ط.

دمشق ١٩٩٩م ، آلان جرينجر ، التصحر ، التهديد والمجابهة ،ت . عاطف معتمد وآمال شاور ، المشروع القومي للترجمة ،ط. القاهرة ،ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، محمد السعيد أبو والي وعادل أبو الخير ، تدهور الأراضي خطر العصر ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، إبراهيم عبد الباري بدر ، التنمية والبيئة في الأراضي الصحراوية والجافة ،ط. القاهرة ٢٠٠٨م ، حسن رمضان سلامة، جغرافية الأقاليم الجافة ،ط. عمان ٢٠١٠م ، محمد إبراهيم حسن ، التصحر أنواع وعوامل ومظاهره الجغرافية ومدى مقاومته دراسة إقليمية تطبيقية ،ط. الإسكندرية ١٩٩٨م ، عبد المنعم بلبع وماهر جورجي ، تصحر الأراضي مشكلة عربية وعالمية ، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، مجموعة من الباحثين ، التصحر تقرير اللجنة المستقلة المعينة بالقضايا الإنسانية الدولية ،طز القاهرة ١٩٨٦م ، تامر حسن فرقوط ، تحديات التصحر ،ط. الكويت ١٩٩٩م محمد إبراهيم حسن ، التصحر والتلوث البيئي دراسة تحليلية إقليمية مقارنة ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٢م ، نفسه ، البيئات والتصحر التلوثي بأنواعه المختلفة ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م.

K. Hare , " Man Gets His Deserts "G.M., August 1982 , PP. 711- 715.

(٥٢) يسري دعبس ، التصحر وتحديات الحياة رؤية في الأنثروبولوجيا الاقتصادية ،ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م ، ص ٧ .

(٥٣) نفسه ، نفس الصفحة .

(٥٤) نفسه ، نفس الصفحة .

(٥٥) ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق اميدروز ،ط. بيروت ١٩٠٨م ، ص ٣٣ حيث يقول : " وكان الغيث أمسك عن الأعمال الحورانية والغوطية والبقاعية بحيث امتنع الناس عن الفلاحة والزراعة ".

(٥٦) صلاح عبد المنعم ، الريف في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ص ٢٧٦ ،

R. Fedden , Crusader Castles , PP.11-12.

(٥٧) عن بلدوين الثاني أنظر :

William of Tyre , VOI . , II, PP.45- 46.

صفاء عثمان ، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م) ،جـ١ بالقاهرة ٢٠٠٨م ، أفضل دراسة في موضوعها بالعربية وهي في الأصل أطروحة ماجستير أشرفت عليها) .

(٥٨) عن مجلس نابلس عام ١١٢٠م انظر :

William of Tyre VOI .I . P.435- 536, R. Rohricht , Regesta Regni Hierosolymini , Innsbruck 1893, P. 20.

H. Mayer , " The Concordat of Nablus < J. E. H. ., XXX III 1982, PP . 531- 543.

حسين عطية ، مجلس نابلس (٢٣ يناير ١١١٢٠م) وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية ، ضمن كتاب حولية التاريخ الإسلامي والوسيط ،م(١) ،ط. القاهرة ٢٠٠٠-٢٠٠١م ، ص ٣٦-ص ٦٩.

وعن الجراد بصفة عامة أنظر :

الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ،طز القاهرة ١٩٤٣م ،جـ٥ ، ص ٥٤٩ – ص ٥٦٧ ، الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ،ط. القاهرة ،ط. القاهرة ١٣٠٦هـ ،جـ١ ، ص ١٦٩ – ص ١٧٣ ، القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ،ط. بيروت ب- ت ، ص ٣٨٨ محمد عليعسيري ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ،٥٦٩- ٦٢٦هـ ،ط. جدة ١٩٨٥م ، ص ٢٧٤

Anna Comnena , The Aleciad, Traus- E. R. .A. Sewter , London 1982, P.309.

وعن إغارات أسراب الجراد حينذاك أنظر:

William of Tyre , VOI.I , P. 535.

J. Richard, Agricultural Conditions in The Crusaders states " , in A History of The Crusades , ed. Setton, VOI . V, Wiscon 1985-P. 263.

محمد مؤنس عوض ، إغارات أسراب الجراد في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية دراسة عن المرحلة من ١١١٤- ١١٥٩م / ٥٠٩- ٥٥٤هـ ،ط . القاهرة ٢٠٠٢م ، عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ،ط. الإسكندرية ١٩٥٩م ، ص ٩٦.

(٥٩) عن معركة حطين أنظر :

The Old Continuation of William of Tyre 1194- 1197, in The Conquest of Jerusalem and The Third Crusade , Sources in Translation , ed . P.W. Edbury , Hampshire 1996, PP. 158- 163.

ابن شداد ، النوادر السلطانية ، تحقيق الشيال ،ص ٧٥- ص ٧٩

The Horns of Hattin , ed . B.Kedar , Jerusalem 1992.

(٦٠) عن رينودي شاتيون أنظر :

G. Schlumberger , Renaauld de Chatillon , Paris 1898.

محمود رزق ، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م ن رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م .

(٦١) حمزة الفاروقي ، جغرافية فلسطين ، ص ٤٣١ ، ولا نغفل هنا ملاحظة إقرار مردخاي فونونو الفتي اليهودي المغربي الأصل الذي عمل في مفاعل ديمونة – إقراره بامتلاك إسرائيل نحو (٢٠٠) رأس نووي غير خاضعة لأي رقابة دولية، وقد ألف الكاتب سيمور هيرش كتابه الشهير " الجبار شمشون " وأقرفيه بامتلاكها أسلحة نووية خاصة من خلال مفاعل ديمونة بصحراء النقب ويلاحظ امتلاكها لعدة مفاعلات أخرى ، وقد فضح إسرائيليون دولتهم فيما يتصل بنشاطها النووي ورفضها لأية رقابة عليه وهو امر متوقع من دويلة تخرق القانون الدولي يومياً وجدار الفصل العنصري خيرشاهد!!. واعترف بجرائمها بعض كتابها مثل إيفي شلايم وبني موريس وإيلان بابيه